

تراث الإمام عبد الحميد ابن باديس : إحصاؤه

أ.د. محمد بن سمينة

جامعة بن يوسف بن خدة - الجزائر-

إن عملية جمع تراث الأمة والقيام بتحقيقه ونشره قد أخذت من الدارسين والمحققين القدماء والمحدثين عناية بالغة وحظوة كبيرة، وقد حاول أن يسير على خطى هؤلاء وينهض بهذه المهمة - مع تباين الظروف واختلاف الإمكانيات - بعض المعاصرين . وكان الدافع الذي دفع هؤلاء وأولئك إلى النهوض بهذه المهمة يكمن في الرغبة في إحياء تراث الأمة ونشره، خدمة للعلم والمعرفة ، وإسهاما في إثراء مسيرة الحضارة الإنسانية .

ويدخل في هذا الإطار ما قام به بعض الدارسين في هذا العصر بجمع آثار بعض أعلام الجزائر في القديم وفي الحديث .

ويأتي في مقدمة من تركزت عناية الباحثين بجمع تراثه ونشره من الأعلام الجزائريين المعاصرين الإمام عبد الحميد ابن باديس ، وذلك للأهمية العلمية والتاريخية التي يتميز بها هذا التراث ، ولما يؤرخ له هذا التراث من جهاد الإمام وتضحياته من أجل وطنه وأمتة والإنسانية .

ويحاول هذا البحث أن يقترب من معالجة هذا الموضوع: استقراء واستقصاء، تحقيقا وتوثيقا، وسيتركز النقاش لإجلاء ذلك في المحاور التالية:

أولا- الإسهامات الأولى للإمام ابن باديس في ميدان الكتابة

نبادر بالقول أن الإسهامات الأولى للإمام عبد الحميد ابن باديس في ميدان الكتابة يمكن أن يؤرخ لها بأواخر العقد الثاني من القرن العشرين، وذلك على صفحات أولى الجرائد التي صدرت في هذه الفترة مع بزوغ فجر النهضة الوطنية، ومن أهمها: (النجاح 1919)، (الإقدام 1920)، (صدى الصحراء 1924)، (المنتقد 1925)، (الشهاب 1925)، (السنة 1933)، (الصراط 1933)، (الشرعية 1933)، (البصائر 1935).

وقد كانت هذه الصحف وغيرها السجل الأمين لما عرفته بدايات النهضة الوطنية من نتاج أدبي وفكري وسياسي، وغير ذلك من ألوان الكتابة لمعظم المصلحين والمفكرين والأدباء الجزائريين في العصر الحديث. وقد ظل أغلب ما نشر يومئذ لهؤلاء من أعمال مقصورا على صفحات هذه الدوريات، ولم ينشر من ذلك في مرحلة ما قبل النهضة أو أثناءها على شكل كتب داخل الجزائر أو خارجها إلا القليل من المصنفات، ولم تعرف حركة التأليف شيئا من عافيتها في الجزائر إلا بعد أن أشرقت شمس الحرية على ربوعها، وتحرر الشعب الجزائري من أسرهِ واستعاد سيادته على مجرى حياته و مقدراته فجر اليوم الخامس من جويلية

وقد عرفت حينئذ عملية نشر شيء من تراث أعلام الجزائر شيئا من الحركة ، وكان في طليعة ما جمع ونشر من ذلك أعمال أعلام النهضة ، وتأتي آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس في مقدمة ذلك .

ثانيا - المبادرات الأولى في عملية نشر تراث ابن باديس

تحسن الإشارة إلى أن الإمام ابن باديس لم يقم في حياته بنشر نتاجه بين دفتي كتاب، ماعدا رسالة صغيرة سماها (رسالة جواب عن سؤال) كتبها إجابة عن بعض الأسئلة التي وجهت إليه في بعض القضايا المختلفة، وقد نشرتها المطبعة الإسلامية الجزائرية - قسنطينة - . 1938

وقد كان الإمام زاهدا في نشر أعماله ، مشغلا عنها بمختلف ما كان يضطلع به من مهام و أعمال ، ومسؤوليات .. و يروى بعض المعاصرين أنه سئل عن ذلك ، فأجاب بما معناه « شغلني تأليف الرجال عن تأليف الكتب » ينظر (آثار الإمام 6 : 376) .

وكانت فكرة نشر آثاره قد راجت بين تلامذته بعد وفاته - رحمه الله - (16 أفريل 1940) .

و لكن الظروف العسيرة التي كان يعيشها الوطن آنذاك تحت نير سلطة المحتلين ، لم تكن لتسمح بأكثر مما قام به تلميذه أحد شهداء الكلمة المجاهدة في الجزائر، وهو الشهيد (أحمد بوشمال) بنشره بعض المقالات من تفسير أستاذه الإمام (المطبعة الجزائرية الإسلامية) قسنطينة 1367 / 1948 .

وتحسن الإشارة إلى أن هذه المحاولة لم تكد تتجاوز نشر بعض المقالات من تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) .
وتأتي المبادرة الثانية على هذا الطريق بعد الاستقلال، وقد كان رائدها أحد تلامذة الإمام أيضا، وهو الشيخ محمد الصالح رمضان الذي بادر بنشر جملة من آثار الإمام وهي:

1 - العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (الجزائر

(1963)

2 - تفسير القرآن الكريم (الجزائر، 1964)

3 - من هدي النبوة (الجزائر، 1964)

4 - رجال السلف و نساؤه (الجزائر، 1964)

وتتميز هذه المحاولة بذهابها إلى أبعد من سابقتها، باشمالها على نشر مجموعة من أعمال الإمام، وقد وقف فيها صاحبها فيما جمعه من تراث الإمام موقف العالم المحقق الموثق الأمين.

و تتوالى حلقات سلسلة الوفاء للأستاذ الإمام ولتراثه، فيدخل الميدان تلميذ ثالث، وهو الأستاذ محمد الطاهر فضلاء - رحمه الله - فيقوم بنشر بعض آثار الشيخ في كتابه (قال الشيخ الرئيس) (الجزائر، 1968). ويقف فضلاء في عمله هذا دون موقف سابقه الشيخ محمد الصالح رمضان باقتصاره فيه على جمع بضعة نصوص متفرقة من تراث الإمام.

ونخلص إلى القول في ختام هذا الفقرة عن المحاولات الأولى في حقل جمع تراث ابن باديس أن القائمين بها حسبهم أنهم كانوا فيما نهضوا به

فيها، بما جمعوا من تراث الإمام جادين مخلصين ، ولجهود الإمام مكبرين مقدرين ، وبأعماله معترزين فخورين ..

ثالثا - نقلة عملية نشر تراث الإمام من مبادرات الأفراد إلى عناية

الهيئات

لقد عرفت عملية نشر تراث الإمام في الفترة ما بعد الاستقلال تطورا ملحوظا ، فظهرت في هذا الحقل محاولتان كانتا أكثر إحاطة وأكثر شمولية مما سبق، وقد تجلّى ذلك في قدرة هاتين المحاولتين على نشر معظم تراث الإمام بتأثير ما كان من ورائهما من جهود جماعية (مؤسسات نشر وهيئات سياسية)، وقد تمت هاتان العمليتان على مرحلتين :

1 - ظهرت المبادرة الأولى سنة 1968. وقد قام بإعداد وتصنيف محتواها الدكتور عمار الطالبي بالتعاون مع دار ومكتبة الشركة الجزائرية. وتشتمل هذه النسخة على أربعة أجزاء (طبع دار اليقظة العربية، دمشق - سوريا، 1388 / 1968).

2 - أما العملية الثانية فقد قامت بها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر ، واشتملت هذه النسخة على ستة أجزاء من تراث الإمام ، (طبع دار البعث قسنطينة - الجزائر) ، وظهرت الأجزاء الأولى منها سنة (1982) ، وتتابع ظهور الأجزاء المتبقية إلى (1996).

ونأتي إلى شيء من تفصيل الكلام عن هاتين النسختين: محتوى وبنية، فماذا عن ذلك ؟

1 - النسخة الأولى من تراث ابن باديس : الخطة والمنهج

تشتمل هذه النسخة التي أعدها الدكتور عمار الطالبي على أربعة أجزاء، نهض الجزء الأول منها ببعض تفسير الإمام، و اشتمل الثاني على بقية هذا التفسير وشرح الأحاديث النبوية الشريفة. وتضمن الجزء الثالث جملة من الأشكال النثرية: المقالات، الخطب، الرسائل.

وإذا كان الجزآن : الأول والثاني قد اقتصر محتواه على مادة التفسير والحديث، فإن الجزء الثالث قد تنوعت مادته: مضامين وأشكالاً.

وجاء الجزء الرابع والأخير على هذه الشاكلة نفسها، جامعا ما بين جملة من الفنون النثرية: المحاضرة والمقالة. وكان المنهج العلمي يقتضي أن يكون مكان هذين الفنين في غير هذا الجزء، ومن ذلك:

محاضرة الشيخ (تبليغ الرسالة - الجزء 4، ص 11) . ومقاله (محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجل القومية العربية- الجزء نفسه، ص 17). ومجموعة من المقالات بلغت سبع حلقات تحت عنوان (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - الجزء نفسه - من: ص 375 إلى: ص 707). إن التأمل في هذه الموضوعات، وهي جميعها ذات موضوع واحد متصل بالسنة النبوية الشريفة، يدرك أن المنهج العلمي يقتضي أن يكون مكانها في الجزء الثاني الذي سبق أن رأينا أنه نهض بمثل هذا الموضوع، ولا تكون في هذا الجزء الرابع الخاص بموضوعات أخرى.

وإن الناظر في محتوى هذه النسخة في ضوء هذه الصورة المتقدمة، يلحظ أنها لم تلتزم في تقديم مادة تراث الشيخ خطة معينة، فلا هي أخذت بالمنهج الموضوعي فعرضت ذلك التراث في محاور فكرية، ولا هي التزمت بالمنهج الفني فأخرجت مادة هذا التراث حسب أشكاله الفنية، ولا هي رتبت وحدات هذا التراث في ضوء المنهج التاريخي ترتيباً زمنياً.

فجاءت لذلك خطة هذه النسخة بأجزائها الأربعة قلقلة و مضطربة تأخذ في جزء بما لا تأخذ به في غيره من الأجزاء الأخرى. ويمكن في ضوء ذلك تسجيل هذه الملاحظة:

1 - إن هذه النسخة لم تشتمل على جميع ما ترك الإمام من آثار علمية، وقد فاتها من ذلك قدر ليس بالقليل. وقد قام صاحبها بما يقوم عليه المنهج العلمي ويوصي به في مثل هذه الحال من أمانة ودقة، بقيامه بالإقرار بأنه لم يرجع في جمع مادة نسخته إلى بعض الصحف التي كان ينشر فيها الإمام نتاجه، وهي المصدر الأساسي الأول الذي كانت أعمال الإمام وأعمال غيره من الجزائريين ترى النور على طريقه. لا أزعـم أنه قد أتيح لي أن أعثر على جميع آثار ابن باديس، لأنه قد أملى إملاءات كثيرة على طلابه، وما تزال مخطوطة أو مبعثرة أو مفقودة، وحتى المطبوع من آثاره لم أجمعه كله. (ج1: 96)

2 - تميزت هذه النسخة بالتقديم الذي خصها به المفكر الجزائري الأستاذ مالك بن نبي، فألقى فيه بعض الأضواء على منهج الإمام،

وإسهاماته الرائدة، وجهوده المحمودة، في الحركة الإصلاحية وحركة النهضة الوطنية، كما تميزت هذه النسخة أيضا بذاك المدخل الذي حاول محققها أن يرسم فيه صورة معبرة عن الحياة الفكرية و الاجتماعية والسياسية في الجزائر، وهي تخطو خطواتها الأولى على طريق النهضة الحديثة في هذا العصر .

3 - اشتملت هذه النسخة على جملة من الفهارس العامة الخاصة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأشعار والأعلام والأماكن والبلدان، والمصادر والمراجع، والموضوعات. وإن هذه الفهارس ستساعد - ولا شك - القارئ في عملية الوقوف على الملابس المختلفة المتصلة بتراث الإمام واستيعاب موضوعاته وحقائقه .

4 - حاولت هذه النسخة أن تقدم مادة تراث الإمام على محاور موضوعية، ولكنها لم تستطع أن تلتزم بذلك كما لم تستطع أن تأخذ بالمنهج التاريخي في عرض مادة المحور الواحد، فجاءت المادة فيها لذلك متداخلة مضطربة لا يجمعها موضوع، ولا تشملها رؤية فنية، ولا يضبطها تاريخ، وقد أقر الأستاذ صاحب هذه النسخة مرة أخرى ببعض ذلك، فقال في هذا الصدد: «حاولت أن أصنف هذه الآثار إلى أقسام حسب موضوعاتها وأغراضها، وإن كان هذا التصنيف غير دقيق لتداخل الموضوعات والأغراض ، ومن ثم جاء تصنيفا تقريبا» .

2- النسخة الثانية من تراث ابن باديس : الخطة والمنهج

استطاعت هذه النسخة من تراث الإمام ابن باديس التي قامت وزارة الشؤون الدينية بإعدادها ونشرها أن تصل في جمع تراث الإمام إلى أبعد مما وصلت إليه النسخة الأولى وغيرها من المحاولات السابقة في هذا الحقل ، فقد وصلت في ذلك إلى نشر ستة أجزاء من تراث الإمام ، كان أولها قد ظهر (1982)، وآخرها قد ظهر (1994)، ويعني هذا أن العمل في هذه النسخة قد استغرق وقتاً طويلاً، حوالي اثنتي عشرة سنة .

وقد اشتمل الجزء الأول من هذه النسخة على تفسير الإمام، وما يتصل به كمحاضراته (العرب في القرآن)، وخطبته في حفل تكريمه بمناسبة ختمه التفسير.

وتضمن الجزء الثاني شرح الحديث والسنة وما يتصل بهما من مقالات وخطب ، ويبدو من خلال مادة هذين الجزءين أن هذه النسخة قد اعتمدت في تقديم تراث الإمام على المنهج الموضوعي، ومن ثم فقد استطاعت أن تستدرك ما كنا قد رأينا أنه فات النسخة الأولى من هذه الناحية ، بنشرها ضمن هذين السفرين ما يرتبط بهما موضوعياً من آثار الإمام .

وأما الجزء الثالث فقد تضمن هذه الأقسام: تراجم السلف، تراجم الخلف، القصص، الفتاوى. ويبدو من هذا التقسيم أن هذا الجزء قد انتهج خطة جديدة في معالجة المادة بعرضه إياها وفق ما ظهرت فيه من أشكال فنية (المنهج الفني).

وجاء الجزء الرابع على النحو التالي : التربية والتعليم، الخطب، الرحلات، وبهذا قد جمعت هذه النسخة في هذا الجزء ما بين الخطبة الموضوعية والخطبة الفنية.

وجاء الجزء الخامس على هذه الخطبة التالية: الإصلاح، السياسة، الاجتماعيات، التاريخ، البرقيات، الاحتجاجات، الفوائح والخواتم. وإن الناظر في تسلسل هذه العناصر في هذا الجزء يدرك أن هذه النسخة، قد تخلت أو تكاد عن المنهج الفني القائم على الأطر الشكلية للمادة الفكرية والأدبية الذي انتظمت فيه المادة في الجزء الثالث، ورجعت من جديد إلى المنهج الموضوعي الذي استهلت به عملها في الجزءين الأول والثاني .

وجاء الجزء السادس والأخير على شاکلة جديدة، وطريقة مغايرة لكل ما سبق في غيره من الأجزاء، ذلك أن هذه النسخة لم تلتزم في هذا الجزء لا بالمنهج الموضوعي، و لا بالمنهج الفني، وإنما انتظمت المادة فيه على اختلاف حقائقها الموضوعية وأطرها الفنية وفق المنهج التاريخي، فجاءت أعمال كل سنة (مقالات وخطب وغيرها) إلى جانب بعضها، ابتداء من تاريخ بداية نشرها في الصحف سنة 1924، وانتهاء ذلك بعام 1939 . ونلاحظ أن الموضوعات في هذا الجزء قد تداخلت، كما توزعت المادة على معظم ما اختاره الإمام لموضوعاته وأفكاره من أطر وأشكال وقوالب .

رابعاً - تحقيق وملاحظ

يمكن القول أن المتأمل فيما اصطنعته هذه النسخة من صور متعددة لخطتها المعتمدة في إخراج تراث الإمام، يدرك مدى اختلاف وجوه الصورة التي بدت عليها من جزء إلى آخر. ويمكن في ضوء ذلك تسجيل جملة من الملاحظ :

- 1 - استطاعت هذه النسخة أن تجمع أكبر قدر من آثار الإمام، فوصلت في ذلك إلى أبعد مما وصلت إليه الجهود السابقة عليها في هذا المجال.
- 2 - حفل كل جزء من هذه النسخة - على خلاف سابقتها - بمقدمة، عنيت بالتعريف بما يتضمنه الجزء المعني من موضوعات، و ما يرمي إليه من مقاصد.
- 3 - حاولت أن تصحح ما ورد في بعض النصوص من أخطاء مطبعية.
- 4 - لم تلتزم النسخة في عرض تراث الشيخ خطة واحدة، وإنما توزعت المادة في أجزائها ما بين عدة مناهج، وقد ترتب عن ذلك أن جاءت أعمال الإمام متداخلة، مضطربة و مكررة، و كانت المادة في الموضوع الواحد مبثوثة في أكثر من جزء، كما كانت الأطر النثرية موزعة، على معظم الأجزاء، فقد جاءت خطب الإمام - وقد خصصت لها النسخة محورا في الجزء الرابع - متناثرة في هذه الأجزاء التالية: (1)، (2)، (5)، (6)، و كذلك جاءت محاضراته و رسائله موزعة ما بين هذه الأجزاء الثلاثة (4، 5، 6) .
- 5 - جاءت بعض النصوص في هذه النسخة مكررة في أكثر من جزء، ويمكن التمثيل لبعض ذلك بما يلي:

ا - (رسالة الشيخ إلى الطلبة) نشرت في الجزء ين (4: 101) ثم في:

(6: 124)

ب - (رسالته إلى شعب الجمعية): (5: 127) ثم في: (6: 125)

ج - (مقاله الزوايا و غاياتها) (5: 167) ثم في: (6: 277)

د - (نداء ه إلى رئيس المؤتمر): (5: 355) ثم في: (6: 170)

هـ - (دعوة و بيان إلى عموم الشعب) (5: 332) ثم في: (6: 172)

و - (حول قانون 8 مارس المشؤوم ، كيف فهمت الأمة معاكسته لتعليم

الدين و العربية ؟) (4: 143) ثم في: (6: 355)

ز - (ماذا في جبال الأوراس : محاربة القرآن و تعذيب السكان) (5:

404) ثم في: (6: 242)

ح - (حول كارثة سوف الأليمة ثم سكوت) (5: 394) ثم في: (6:

221)

ط - (كلمة قالها الرئيس) (5: 306) ثم في: (6: 151).

كما سقطت من هذه النسخة فقرة من مقال الإمام وهي: (حق

النساء في التعليم) (2: 158) وقد وردت هذه الفقرة في النسخة الأولى

(2: 199).

6 - كان من المتوقع أن تستدرك هذه النسخة ما فات غيرها، و تتسم

بقدر أكبر من الدقة و الإحكام و التنظيم و حسن التبويب، وذلك لما

استغرقته من وقت و توفر لها من إمكانيات، إلا أنها لم تستطع أن تفعل

ذلك و تفيد مما أتيح لها الإفادة المطلوبة، مما جعلها تظهر بذاك المظهر

المضطرب غير المنتظم و غير الدقيق .

7- بيد أن من ينظر إلى صعوبة هذه المهمة التي تصدت للقيام بها هذه النسخة ، أن يقدر طبيعة الملابس التي اكتنفتها، و صدق الجهود المبذولة للنهوض بها ، ذلك أن الإمام كان ينشر أعماله في صحف عديدة، وكانت هذه الصحف بالأمس معرضة بين الحين و الآخر إلى المصادرة ، وهي اليوم متناثرة في أكثر من مكان ، مغلقة عليها الأبواب في أكثر من مبنى القليل منها داخل البلاد ومعظمها خارجها ، مما يجعل عملية جمع وتحقيق ما نشر بها من أعمال الجزائريين تتطلب غير قليل من الجهد والصبر والتروي .

8- و كان الإمام - للظروف التي كانت تحياها الجزائر يومئذ تحت نير سلطة فرنسا (دولة القانون ، والحقوق الإنسانية ، والمدنية ، والحرية ..!؟) - يضطر أحيانا ليقع أعماله بأسماء مستعارة، و قد نشر بعضها أحيانا غفلا من أي توقيع .

و يمكن أن يتضح مما تقدم أن عملية جمع تراث الشيخ بالصورة التي يوجد عليها في الدوريات والقيام بتحقيقه، لم تكن بالعملية السهلة التي قد يتوقعها من لم يمارسها ، وإنما كانت تستدعي جهدا كبيرا وصبرا عظيما للقيام بما يتطلبه العمل في هذا الحقل من بحث و جمع وتحقيق وتوثيق ، وحسب القائمين على نشر تراث الشيخ أنهم بذلوا في هذا المضمار مخلصين ، ما وسعهم الجهد فاستطاعوا أن يجمعوا أكبر قدر من ذلك التراث ، و يمكن أن تصل الجهود المتعاضدة على هذا الطريق إلى ما قد يكون ما يزال مغمورا مجهولا من ذلك التراث .

وبما قد زاد في صعوبة هذه العملية أن الإمام كان ينشر أعماله تارة باسمه الصريح عبد الحميد بن باديس ، وتارة ينشرها بتوقعات أخرى عديدة هي : ابن الإسلام ، العبسي ، الجزائري ، القسنطيني ، الصنهاجي ...

ويروي بعض المعاصرين من بينهم : (أحمد حماني ، حمزة بوكوشة ، محمد الصالح رمضان ، وغيرهم) أن ما قد نشر من آثار في الصحف الوطنية بواحد من هذه التوقعات السابقة ، إنما هو بالتأكيد لابن باديس ، وليس لغيره ، وقد أكد الإمام نفسه على ذلك بإقراره أنه كان يوقع نتاجه بواحد من هذه الإمضاءات ، و هو (القسنطيني) ، و لما وقف في بعض الصحف على من يوقع بهذا التوقيع أعلن أنه رفع يديه عن هذا اللقب (ينظر الشهاب : ع 58 - 27 سبتمبر 1926) .

و يمكن القول في ضوء هذا الإجماع أن المقالات الممهورة بواحد من الإمضاءات المذكورة آنفا ، لا يشك في صحة نسبتها إلى الإمام ، و إنما يبقى شيء من الإشكال قائما فيما يصادف الباحث من آثار غفلة من التوقيع ، فإن تحقيق ذلك و الوصول فيه إلى ما يطمئن إليه المنهج العلمي يحتاج إلى غير قليل من النظر و التمحيص والتحقيق ، و قد وصل بشيء من ذلك بعض من تقدم ذكرهم ممن تصدوا لجمع ونشر تراث الإمام إلى نسبة كثير من تلك الأعمال له ، و قد سار على هذا الطريق أيضا الدكتور محمد ناصر فاجتهد في نسبة بعض ذلك إلى الشيخ (ينظر المقالة الصحفية الجزائرية 2 : 239 - 275) .

خامسا - العثور على نصوص مجهولة من تراث الإمام

1 - إن قيام صاحب هذا البحث بالرجوع إلى آثار الإمام في مظانها الأساسية وفي مصادرها المعتمدة بعين النقد والتمحيص والمقارنة قد أدى به إلى العثور على مجموعة أخرى من آثار الإمام في الشهاب بدون إمضاء، وقد أمكن بشيء من النظر بعين التحقيق في الموضوعات المعالجة، ومقارنتها بما عرف عن الإمام من اهتمامات، و بما تميزت به شخصيته وثقافته وأسلوبه من سمات ، ترجيح صحة نسبة بعض تلك الأعمال للإمام ، و من بينها :

أ - كلمة في رثاء الشيخ محمد بن أبي شنب : (مجلة الشهاب : ج 2 م 5 (شوال 1347 / مارس 1929) ص 29) .

ب - تقديم ديوان أبي اليقظان : (مجلة الشهاب : ج 10، م 7 (جمادى الثانية 1350 / أكتوبر 1935) ص 656) .

ج - انتصار الإصلاح على الخرافة والجمود (الشهاب : ج 4، م 11 (ربيع الثاني 1354 / جوليت 1935) ص 212)

2 - يروي الشيخ محمد الصالح رمضان أن للإمام بعض الأمالي في اللغة و الأدب ما تزال مجهولة و يشير إلى مثل ذلك الدكتور عمار الطالبى (النسخة الأولى - 1 : 96) .

3 - يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه : (تجارب في الأدب والرحلة، ص 100) أن لابن باديس تقریظا لرسالة الشيخ الطاهر العبيدي (النصيحة العزوزية في نصرة الأولياء و الصوفية) 6 - يذكر الشيخ حمزة

بوكوشة في مقال له عن الشيخ المجاوي مجلة الثقافة، ع 10 (رجب 1392 / سبتمبر 1972) - ص 13) ، أن لابن باديس خطبة و قصيدة في رثاء الشيخ عبد القادر المجاوي .

7 - يعثر صاحب هذا العمل على ثلاث رسائل مجهولة للإمام، وردت اثنتان منها في كتاب محمد الطاهر فضلاء (قال الشيخ الرئيس ص 414 ، 416)، كان الإمام قد أرسل أولاهما إلى والد الكاتب فضلاء: الشيخ السعيد البهلولي . وبعث ثانيتهما إلى أخيه: الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمة الله عليهم جميعا ، ووردت الثالثة في كتاب الدكتور مازن صلاح مطبقاني (عبد الحميد بن باديس: العالم الرباني والزعيم السياسي، ص 64) كان الإمام قد أرسلها إلى الأميرة الأستاذة بديعة حفيدة الأمير عبد القادر مديرة مدرسة (دوحة الأدب بدمشق سوريا) .

8 - كما يعثر الباحث على فقرة نسبها الدكتور أحمد بن نعمان للإمام في كتابه (التعريب بين المبدأ و التطبيق، ص 290).

سادسا - نصوص من تراث ابن باديس منسوبة لغيره

يصادف الباحث - وهو في هذا الطريق يجمع و يحقق تراث الإمام - أن الأستاذ أحمد توفيق المدني قد نسب إلى نفسه في كتابه (حياة كفاح ج 2: ص 62) إحدى مقالات الشيخ (كلمة صريحة) المنشورة في (النسخة الثانية) من تراث الإمام (ينظر ج 5 :ص 292) . إلا أن بعض المعاصرين من تلامذة الشيخ وإخوانه في الحركة، لم يسكتوا عن ذلك

وجمعوا على أن هذا النص للإمام و ليس لغيره، و تتضافر جملة من العوامل على ترجيح هذا الرأي من أهمها :

1- أن توفيق المدني نفسه يشير في (حياة كفاح ج 2 : ص 62) إلى أن المؤرخ الفرنسي (شارل أندري جوليان) قد نسب هذا المقال لابن باديس .

2 - يعثر الدارس في النسخة الثانية على مقالين اثنين تربطهما صلة قوية بالمقال الأنف الذكر ، كان الإمام قد نشرهما في وقت لاحق ، وبهما بعض ما جاء في ذلك المقال نصا وروحا، وهما : (حول كلمتنا الصريحة) (ينظر ج 5 : ص 301) و (كلمة مرة لأنها صريح الحق و لباب الواقع) (ينظر ج 5 : ص 355) . ولم يرد في آثار توفيق أدنى إشارة إلى هذين المقالين، فبم يمكن تفسير ذلك ؟ و لماذا لم ينسبهما توفيق إلى نفسه ، كما فعل ذلك بسابقيهما ؟ فهل كان ذلك لما فيهما من أفكار، كحديث الإمام عن الاستقلال، مما لا يستطيع أحد أن يجهر به آنذاك أو يدعيه ؟ ولا يستطيع أن ينسب ذلك لنفسه يومئذ إلا رجل كان في مثل عزم الإمام، و صدقه، وشجاعته ..

3 - ليس في المقال ملامح شخصية توفيق ، و لا أسلوبه الذي يتميز بشيء من الحماس و المبالغات و ما إلى ذلك من سمات الأسلوب الخطابي، بينما يصادف الباحث في المقال بعض ما يتميز به أسلوب ابن باديس من قوة، و وضوح، ودقة، و قصد ، و يسر وإحكام ..

4- إن المتأمل فيما تضمنه المقال من أفكار و أساليب يلمس فيه روح

ابن باديس الصادقة ، و شخصيته القوية، و شجاعته الكبيرة، و حكمته و ذكاؤه . و يدرك أن تلك الطوابع سمات مبثوثة و متواترة في معظم أعماله بصورة واضحة .

5 - نخلص إلى القول في ختام هذه الفقرة أن هذه الروايات المتصلة بالشيخ و بآثاره، و هذه النصوص المجهولة من تراثه التي يعثر عليها الباحث هنا و هناك ، تؤكد بقوة أن لا مجال للزعم من أن البحث يكون قد استوفى جوانبه حول آثار الشيخ و بلغ في ذلك إلى ما يطمئن إليه الدارس من وجوه الإحاطة و الشمول ، و أحسب أن ذلك مطمح ينبغي ألا يدعيه باحث ، و لا سيما من كان حقل عمله في الدراسات المعاصرة، هذه التي تحتاج أكثر من غيرها إلى نصيب أوفر من الوقت، و حظ أعظم من الصبر، ليستكمل من يتصدى لها شروط البحث و التحقيق و التقصي و الاستقراء ، مما يساعد على الوصول في ذلك إلى نتائج تكون أكثر دقة ، و أوفر إحاطة ، و أعظم قيمة .

سابعا - نصوص مبثوثة في تراث ابن باديس وهي ليست له

يمكن القول في ضوء ما تقدم أن آثار الشيخ التي بين أيدينا لم تكن جامعة، و لم تكن مانعة أيضا - بالرغم من الجهود المبذولة - ذلك أن بعض الأعمال ، مما هو ليس منها قد انزلق إليها ، و يمكن التمثيل لذلك بما جاء بخاصة من نصوص في النسخة الأولى (الجزء الخامس) و من بينها:

- 1- (البحر الأبيض المتوسط، ص 229).
 - 2- (الأزمة المالية وسقوط الوزارة، ص 231).
 - 3- (هيريو كيف صعد وكيف نزل ؟ ص 233).
 - 4- (وزارة الاتحاد المالي، ص 241).
 - 5- (المعاهدة الإيطالية الأسبانية) ينظر: ص 255.
 - 6- (إلى ماذا تسير أوروبا ؟ ص 271).
- و نلاحظ أن هذه النصوص من حيث مكان نشرها وزمانه، فقد نشرت كلها في الشهاب، وفي سنة واحدة (من جويلية إلى أكتوبر 1926)
- وأما من حيث موضوعاتها فهي تتطرق جميعها إلى بعض الجوانب من قضايا السياسة العالمية التي ليست لها صلة قوية بالجزائر، ولا بما يتصل باهتمامات الإمام وأمثاله، وليس فيها روحه، ولا أسلوبه .
- و يرجع الشيخ أحمد حماني في (النسخة الثانية ج 6: 11) أن هذه المقالات هي أقرب ما تكون لواحد من اثنين:
- فهي إما لأحمد توفيق المدني الذي عرف بهذه الميول السياسية في هذه الفترة، وفي فترة الأربعينات في السلسلة الثانية من البصائر، أو أنها للدكتور الزبير ابن باديس أحد إخوة الإمام، وقد عرف هو الآخر بهذه الميول .

ثامنا - الخاتمة

ونخلص إلى إيجاز القول في خاتمة هذا البحث أن الجهود المبذولة فيه لم تقتصر في معالجة جوانب الموضوع المدروس على الرجوع إلى مصادره الموضوعية الأساسية، ولا على استنطاق آثاره النظرية وتمحيصها فحسب، وإنما اتجهت العناية فيه بالإضافة إلى ذلك - إلى إجراء بعض الاتصالات والمقابلات مع بعض المعاصرين لمرحلة النهضة الوطنية قصد الاستئناس بأرائهم فيما قد يعترض طريق الباحث من إشكال حول بعض القضايا، وقد ساعدت الدارس هذه الوساطة إلى جانب غيرها من الوسائط المتصلة بهذا البحث في عملية التقصي والاستقراء لنصوص آثار الشيخ والبحث عن المجهول منها، و توثيقها وتحقيق بعض الآراء المتصلة بها وبصاحبها.

وبعد فإن الهمم العالية والعزائم المتعاضدة والجهود المتعاونة قد تصل - بعون الله وتوفيقه - إلى أبعد مما وصلت إليه المحاولات السابقة في عملية جمع تراث الإمام ونشره، مما يساعد على الوصول إلى ما قد يكون ما يزال مجهولا ومغمورا في أحضان بعض الدوريات وغيرها من المصادر الدفينة هذه وتلك في دهاليز بعض المكتبات الخاصة والعامة، أو لدى بعض الأشخاص الذين يكونون يجهلون قيمة نصوص هذا التراث، أو يعرفون ذلك ولكنهم لا يدركون كنه فاعليتها في حياة الناس، فجعلهم ذلك يزهدون في إحياء تلك النصوص والتعامل معها من نحو، ويعزفون من نحو ثان في فتح الطريق أمام غيرهم من الباحثين للوصول إلى مظانها

والعكوف على جمعها وتحقيقها وإبراز قيمتها ونشرها، والعمل على تفعيلها في حياة الوطن والأمة حاضرهما ومستقبلهما .

وإن الأمل كبير بعد ، أن يضاف هذا الجديد من نصوص تراث الإمام الذي وصلت إليه الجهود الدائبة المستجدة إلى جانب ما سبق استدراكه من نصوص على الطبعات المنشورة من هذا التراث ويضم هذا وذاك بعضه إلى بعض في طبعة جديدة من تراث الإمام، تخرج للناس في حلة قشبية يكون مضمونها وتكون صورتها أكثر إحاطة، وأعظم شمولية، وأحكم خطة ، وأقوم منهجا، وأجمل تنظيما، وأحسن تبويبا .